جَوْهَرَةٌ لِلْمُدنِ الطَّعِينَةِ

أحمد بلحاج آية وارهام

-I-

إذا دَخَلْتَ فاحْتَرِسْ
منْ خُطْوَةِ الْحُزْنِ الْمُشَعَّرِ الشَّرِسْ
فَالدَّرْبُ مَقْلُوبٌ، حجارَةُ البُكَاءِ وَجْهُهُ
وسَقْفُهُ سَحَابَةٌ منَ الْوُجُومِ شَارِدَهْ،
أَلْقَتْ عَلَيْهَا صَمْتَهَا نَوَافِذُ الْبُيُوتْ.

إِذَا دَخَلْتَ فَاحْتَرِسْ
أَنْ يُشْعِلَ السُّكُوتْ
نيرانَهُ فِي ثَوْبِ صَوْتِكَ، الزَّمَانُ مَيِّتٌ
وَأَنْتَ حَيٌّ فِي هَسِيسِ الْعَنْكَبُوتْ،
منْ حارَةٍ لِحارَةٍ
تَنْقُلُكَ الأَحْلامُ، لَسْتَ جِذْرَها
شَوَاهِدُ الْقُبُورِ حُلْمٌ نَابِتٌ
عَلَى دِمَاءِ الْمُدُنِ الْقَتِيلَةِ الْوَقَارْ
كَأَنَّهُ سَنَابِلُ الْفَجِيعِ؛ أَبَى طَلاقَهَا النَّهَارْ.

تَبْحَثُ عَنْ جَوْهَرَةٍ
سَيِّدَةٍ مُضِيئَةٍ
جَوْهَرَةِ الْجَوَاهِرِ الْفَرِيدَهْ
فلا تَرَى؛ وأَنْتَ قامَةُ الْبَصِيرَهْ؛
منِ اسْمِها
منْ عِطْرِها
منْ لَوْنِها
مَاءٍ يفُكُّ غُصَّةً
أَوْ يَذْبَحُ الْحُمَّى الطَّرِيرَةَ الضَّرِيرَهْ،
تَبْحَثُ عَنْهَا وَالِهاً
فِي مُدُنٍ...
تَقْتَاتُ يُتْمَهَا الْمَرِيرْ
مُذْ رَصَّفُوها بِبَلاطِ الْوَهْمِ
وَاسْتَلَذُّوا
خَرَابَهَا تَحْتَ سَنَابِكِ النِّسْيَانْ.

إِذَا دَخَلْتَ فاحْتَرِسْ
فَالْمُدُنُ العَرِيقَةُ الْوَقَارْ
قَد اسْتَشاط قَلْبُهَا
منَ الَّذِينَ سَلَخُوا أَنْوارَهَا
وَمَسَخُوا أَقْدارَها
بِرَشَّةِ الْحَقَارَهْ.

-II-

يَا أَنْتِ،
يا أَيَّتُها الْمَدَائِنُ الَّتِي
لَها تُصَلِّي مُهْجَتِي
بِكِ احْتَرَقْتُ، همَّتِي تَعَاسَتِي
أَشُكُّ أَنَّنِي بِكِ الْتَقَيْتُ باسِطاً طُفُولَتِي
كَأَذْرُعِ الْبِشَارَهْ
أَشُكُّ أَنْ تَكُونِي
أَنْتِ الَّتِي أَلْقَمْتِنِي شَبِيبَتِي،
مَا هَكَذَا وجْدَانِي أَبْصَرَكْ
ما هَكَذَا شُعُورِي أَوَّلَكْ
ما هَكَذَا إِحْسَاسِي سَرْبَلَكْ
مَا هَكَذَا...
تُوجِعُنِي الْمُشَاهَدَهْ
وَتَخْنُقُ الْعَبْرَةُ أَنْفَاسَ اللُّغَهْ
حِينَ أَرَاكِ دَرْدَبِيساً
سَرَقَتْ كُنُوزَهَا
بِالزَّيْفِ كَفٌّ مُجْدِبَهْ

يَا أَنْتِ؛
يا عَرَاقَةَ الإِبَاءْ
غَداً.. غَداً
سَوْفَ تَعُودِينَ إِلَى الْبَهَاءْ
إِذْ لَمَسْتِ هَاتِهِ الْجَوْهَرَةَ الْفَرِيدَهْ
بِحِسِّكِ الْمَشْبُوبْ،
فَأَنْتِ لِلأَزْمِنَةِ الرَّشِيدَهْ
خُلِقْتِ، لا لِلَّحْظَةِ الْكَذُوبْ.

مرّاكش